عزيز علي

رائد اغنية الاحتجاج

عراقيون
من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
العدد (4542) السنة السابعة عشرة
الخميس (7) تشرين الثاني 2019
WWW. almadasupplements.com

5
عزيز علي.. ليس رثاءً بل..
استذكاراً!

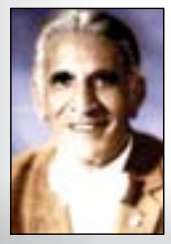

عزيز علي واذاعة بغداد.. فن المنولوج وكيف عرفه مستمعو الاذاعة ؟

سـنـدس حـسـين علي

الموسيقى والغناء هما لغة الإحساس والشعور والعاطفة وهما أداة توجيهية يستطاع بها توجيه النشء إلى الناحية الوطنية القومية، فالإنسـان يميل بطبعه وفطرته إلى ترديد ما يسـمعه من غناء وأناشـيد، ولما عرف العراقيون بحبهم للموسيقى والأغاني الشعبية..

لـذا فقـد وجهـت وزارة الداخليـة مـن مديريـة الدعايـة والنشـر إلى المتصرفيـات كافـة بالبحث عمـن اشتهر بذلك الفنـين من سكان المـدن وأفراد العشائـر وإرسالهـم إلى بغـداد. لمـا كان الغنـاء أداة توجيهيـة، فقـد اشتهـر نـوع مـن الغناء في العـراق، وهـو فن (المونولـوج). اهتمـت الإذاعة العراقية بذلـك الفن الجديد، لإقبـال الناس عليه، فتقدم الفنان علي الدبو. بمونولوجات استهدفت بالمقـام الأول نقـد الظواهر الاجتماعيـة السائدة آنـذاك.وكان الدبوقد بـدأ بغنـاء المونولوج، بين فصـول المسرحيـات التـي كانـت تقدمهـا فرقـة (حقـي الشبلـي) التمثيليـة أول مونولـوج له من دار الإذاعة كان عـام ١٩٣٨ بعنوان (الطلاق) كما قدم الفنـان عزيز علي، مونولوج مـن دار الإذاعة وكان مونولوجـاً اجتماعيـاً، موضوعه بسيط لا يثـير الجدل والأقاويل عن عـادة القبول(جلسة نسائية تجمـع خليطا من المتزوجـات والعازبات والبنـات والأمهـات)، فقد هاجم عزيـز علي يوم القبول ووصفه بأنه شغب نسائي وغيبة، وانتقل عزيـز علي بعـد ذلـك بالمنولـوج إلى موضوعات أخـرى، ناقـدا في مجـالات اجتماعيـة عـدة وقد نجحت نجاحا كبيرا ونال الفنان عزيز علي شهرة واسعـة، ثم انتقل في المونولـوج إلى موضوعات سياسية، ووضـع كلماتها بأسلـوب ينطوي على عـدة معـان في المونولـوج الواحد، فهـو سياسي وليـس بسياسـي. وبشـر بذلـك بمونولوجـه (الراديو)

الراديو ينور الأفكار

الراديو يفتح الأبصار

الراديو ينقل لخبار

الراديو يفضح الأسرار

ما دام ينور لفكار، ما دام يفتح لبصار،

مـا دام يفضح لسـرار، يعني يضـر الاستعمار...

يحيا الراديو

أحدثـت مونولوجـات عزيـز علـي، ردة فعل لدى المستمـع واخـذوا بالتنبـه إلى أعمـال الحكومة، وبالتـالي ينتقدون أعمالهـا، وأصبـح اسم عزيز علـي يهـز الشعب هـزا... سـواء كانـوا طلبة في الابتدائية أو المتوسطة قبل الأربعينيات وبعدها، فيـوم موعد قراءة مونولـوج عزيز علي يعد يوماً مشهـودا، ففـي تلـك الأمسية تجتمـع النسوة في إحـدى الـدور... ويجتمـع الرجـال في المقاهـي، ويقـترب الأولاد من المقهى وكلهـم إنصات لعزيز علـي وصوتـه يجلجـل نـص الليـل.. فزيـت من نومـي، شلكـي ألكيلـك هوسـه بمهجومـي.. الخ وتتعالى الضحكات.

أمـا على الصعيـد الرسمـي فقد أخذت تلـك الفئة بالتنبـه إلى خطـورة ما يقدمه عزيـز علي من دار الإذاعة وما لذلك النقـد المبطن للحكومة من تأثير على المستمع العراقي .ففي الثالث عشر من كانون الأول ١٩٥٠ كان الفنان عزيز علي يلقي مونولوجه الثالـث وهو – مونولـوج السفينـة– ومونولوج صلي على النبي– ومونولوج اسكت لتحجي، من دار الإذاعـة... تلـك المونولوجات المثـيرة...وإذا بالمهندسـ ناجـي صالـح يدخل بصـورة مفاجئة علـى الفنان أثنـاء إلقـاء المونولـوج، وأسره في إذنـه إن نـوري السعيد قد جـاء إلى الإذاعة، وانه في حالة عصبية

وحينمـا انتهى عزيز علي من إلقـاء مونولوجاته ،استدعـي لمواجهـة– نـوري السعيـد– ولمـا سلم على – الباشا –رد عليه السلام باقتضاب، وانفجر يلـوم الفنـان قائـلا لـه بالحـرف الواحـد: ليشـ تتداخل بالسياسة؟ فرد عليه الفنان قائلا: باشا يا سياسة أني فنان...مو سياسي... فسال السعيد: طيـب إذا أنـت فنـان أذن ليشـ مترضـي النـاسـ والفنـان يونس الناس، يغني لهم ويزيل همومهم ويفرحهم...؟ ثم سأله ما معنى كلمة (جي)، وماذا تعنـي بعبـارة :أخر كل علاج الجـي – والمن تريد بـ (الجـي)؟ فأجابه عزيز علي: واللـه يا((باشا)) لم أعـن بذلك شخصـا معينا بالـذات، فسأله: مرة أخـرى، ماذا تقصد بمختـار ذاك الصوب من هو؟ أجـاب عزيز علي: انه مختار من مخاتير الرصافة لأنني اغني في الكرخ والمقصود الصوب الأخر)). وقد تخلصـ عزيز علي من ذلـك الموقف، لأنه كان يقصـد السفـير البريطـاني (مستر كولـن والز)، والـذي عـاد إلى السفـارة البريطانيـة بعـد فشل حـرب آيار١٩٤١ . فمـا كان من نـوري السعيد إلا أن تـرك الإذاعة ومعه مجموعة مـن مونولوجات عزيز علي، ولم يلبث أن عاد مرة أخرى ليطلب من عزيـز علي عمـا إذا كان يحمل معـه مجموعة من أزجاله ذلك لان – الباشا – خيل إليه وقد رأى عزيز علـي أمام الميكرفون من وراء زجاج – الكونترول – يبدو منسجما بالإلقاء دون أن يحمل بيده ورقة ما...يقـرأ فيها...فظن أن عزيـز علي إنما يرتجل تلـك الأهازيـج ارتجـالا، إذ قـال أمـام مشهـد من موظفـي الإذاعـة مستفسرا (هذا شلـون ديحجي من كلبه؟).

عرف عزيز علي المعتقلات والمنافي وخبرها وذاق الأمرين فيها. فلم ينم الفنان ليلتها... وبات ساهرا في تصفية أمور بيته وعائلته تمهيدا للاعتقال، أو السجن اللذين كان يتوقعهمـا في اليوم التالي... وفي اليـوم التـالي استدعـاه نـوري السعيـد، مـع مديـر الدعايـة وكان يومئـذ كمـال إبراهيم، واستدعـى معـه مديـر الإذاعـة– حسـن الدجيلي الـذي لم يحضـر المقابلـة،إذ انسحـب الدجيلـي مـن الوظيفـة بـدون تقـديم استقالتـه احتجاجا علـى ذلك التعسف، ويعـود إليه الفضـل في إلقاء المونولوجـات الانتقاديـة مـن دار الإذاعة في ذلك العهد... والى التشجيع الذي كان يلقاه عزيز علي منه، فقال نوري السعيد للفنان عزيز علي:

((يا أخي أنت الله ناطيك هالموهبة تصفط الكلمات مثل متريد... لازم لا تثير الناس ولا تبجيهم... الرجال يخلقون... والأوضاع تتحسن... وتنظم مونولوجاتك فتبشـر بالمستقبل))، وصرف عزيز علي بكلمات أعجاب.

طلب عزيـز علي من مدير الدعاية كمـال إبراهيم، إلا يـدرج أسمه في المناهج الإذاعيـة حذرا من أن يصيبه مكـروه أو سـوء... إلا أن اسم عزيز علي كان مدرجـا في المنهـج الشهـري إلا انـه لم يحظر لإلقاء مونولوجاتـه في الوقت المعين...فشاع في الأوساط الشعبية أن– نوري السعيد – قد سجنه وبدافـع تلـك الإشاعـة وخشيـة أن يظـن نـوري السعيـد بعزيز علي سوءا، اضطـر عزيز علي في الأسبـوع التالي أن يحظـر إلى الإذاعة في الموعد المقرر لإلقاء مونولوجاته، فوجد أن مدير الدعاية العـام ومدير الإذاعـة، قد استبـدلا وألقى في تلك الحفلـة مونولوج (الفـن) ، ثم منولـوج يا حسن بالصيـف ضيعنـا اللبن، ثـم ترك الإذاعـة لبضعة أشهر... ثم استدعى مـرة أخرى لمزاولة ذلك الفن الغنائي.

بلغـت جرأة الفنـان عزيز علي حينمـا كان موظفا في وزارة الأعمـار، وكان واجبـه أعـداد الدعايـة لمشاريـع الأعمـار يومـذاك، إذ أعلنـت الحكومـة أنها ستقـوم خلال الأيام القادمـة، في بناء الدور لتوزعهـا على المواطنين (دار لـكل مواطن وتلبية الحاجـات الأساسية لكل مواطـن، كان نتيجة ذلك هـو بناء عشرات من الدور هنا وهناك في نواحي بغـداد أقيمت دون تخطيط ودون تنسيق إذ كانت الشـركات الأجنبيـة والمحليـة تنهـب الملايين من أمـوال الدولـة والمسؤولـون كانـوا يتقاسمـون أرباحا علنـا وجهرا فأشار الفنـان إلى مهازل تلك المشاريع.

والطرق من حمد الله لما بجت كل البلاد

كلها (منتظمة) و(عدله) وانبت كل هالسداد

يا عرب أنطوها مهلة أنا أراهنكم رهن

العراق يصير فله بعد مدة من الزمن

ذلـك مما يدلـل على ملـل الناس بالدعايـة لمجلس الأعمـار الـذي لم يتحقـق منـه شيئـا علـى الرغم مـن تأكيـد التصريحـات للمسؤولـين العراقيـين بالإنجـازات العظيمـة التـي حققتها علـى صعيد مجلس الأعمار.

وبذل جهدا كبـيرا لتمرير مطالب الشعب العراقي عبر الإذاعـة والتي تطالبه بمزيد مـن التحريض الثوري، فعمد إلى بث مونولوج بدا وكأن الإذاعة هي التي كلفتـه بمعالجة تلك المواضيع الحساسة تنفيذا لإرادة الجماهير إذ قال:

أني كلبي مشلوع لازم بكل أسبوع

يا ليتني بهالاذاعة كون احضر موضوع

تكلي أحجي بكل صراحة والصراحة لها حدود

هذي والله سماحة من الإذاعة وهذا جود

يا عرب تره الفصاحة والحجي الموزون فن

وبعضا اليحجي بصراحة يأدي خدمة للوطن.

● عن رسالة *(توجهات الإذاعة العراقية الوطنية ١٩٣٦–١٩٥٨)*.

عزيز علي والوظيفة الحكومية كيف احال نفسه الى التقاعد؟

خالص عزمي
كاتب راحل

علـى الرغم مـن ثقافتـه وشهرته ومعرفتـه لعدة لغـات منهـا (الألمانيـة والانكليزيـة والروسيـة) إضافة إلى لغتين شرقيتين هما الكردية والإيرانية (قراءة وكتابة وتحدثا) إلى جانب العربية التي يجيدهـا تمامـا مـن مختلـف جوانبهـا النحوية والبلاغيـة ... الخ، فأن عزيز علـي لم يأخذ مكانه اللائق به في سلم الوظيفة العامة؛ فقد بقي موظفا بدرجـة متواضعة في كمرك ومكوس بغداد ؛ ثم ملاحظا في وزارة الإعمار؛ وحينما نقلت خدماته إلى وزارة الخارجيـة بمعاونـة صديقـه السفـير قاسـم حسن (سفـير العراق في بـراغ يوم ذاك) و الذي كان يرتبط بعلاقة وطيدة مع هاشم جواد وزيـر الخارجيـة في عهد حكومـة الزعيم الراحل عبد الكـريم قاسم؛ لم يعـين دبلوماسيا كما توهم الكثـيرون؛ بل عـين ملاحظـا مدنيـا في السفارة العراقية في بـراغ ؛ ولم يدم مكوثه هناك طويلا؛ إذ وقعت مشادة ما بينـه وبين موظف دبلوماسي لم يكن يحترم واجب الزمالة إذ خرجت منه لفظة غـير لائقة؛ لم يتقبلها عزيز علي منه إطلاقا؛ فثار لكرامتـه ولقن ذلـك الدبلوماسي درسـا بالأخلاق نـزل عليه كالصاعقة أمام جميع موظفي السفارة. وحينمـا وصل العلـم إلى الـوزارة بذلك الحادث قـررت (وكعرف سائـد) نقل الموظفين الاثنين من بـراغ إلى مواقع أخرى؛ وكان مـن نصيب فناننا الكبـير النقـل إلى تونـس؛ وما كاد يحـط ركابه هناك لفترة وجيزة لم تتعد الشهر حتى جاءه أمر الفصل عام ١٩٦٢.

وفي عـام ١٩٦٣ أعيـد إلى الوظيفـة ونسب إلى وزارة الثقافـة والإعـلام حيـث تجاورنـا بغرف العمـل؛ فتجـددت بذلـك العلاقـة وتواصلـت في مجالات الأدب والفن والتراث الشعبي .

كان عزيـز علي مسرورا بوظيفته تلك لأنه أصبح يعمـل ضمن كوكبة مـن شخصيـات الأدب والفن والصحافة والبحث من أمثال ؛ حارث طه الراوي ؛ وحميـد العلوجي ؛ وجميـل الجبوري ؛ وعامر رشيـد السامرائـي ؛ ونـوري الـراوي ؛ ولطفـي الخوري ؛ وناظم سيالة ؛ ولمعان البكري ؛ وكاظم جواد ؛ وسالم الالوسي؛ وخالد الشواف؛ ونعمان ماهر الكنعاني ؛ ومدحة الجادر؛ ومنير الذويب ؛ وعبد الجبار العمر ؛ وعشرات غيرهم ممن عملوا في تلك الفترة بالذات أو ممن تعاقبوا بعدئذ على منصـة الثقافة والاعلام من ذات المستوى الرفيع؛ فقدموا خدمات متميزة في شتى حقول المعرفة .

بقـي عزيز على في هذا الجـو الساحر؛ ثم جاءته الفرصة التي كان يتمناها . ففي تشرين الأول من عـام ١٩٦٨ أنيط بـه تأسيس مدرسـة للموسيقى تعتمـد منهجـا تربويـا عصريـا؛ فمـا كان منه إلا أن شمـر عن ساعد الجـد وراح يبذل ما في وسعه لبضـع كل خبرته وكفاءته في سبيـل تكوين تلك المدرسـة وجعلهـا واقعـا ملموسـا بالتعـاون مع الدوائـر المتخصصـة في كل مـن وزارة الثقافـة والإعـلام ووزارة التربيـة. ولم يكتـف بذلـك بل قـام بزيارة مكثفة إلى الاتحـاد السوفيتي تجول خلالهـا في مدارسـ موسيقية عـدة ذات مستوى رفيـع في أسلـوب الدراسـة النظريـة والعمليـة عاونه خلالها الشاعـر التراثي المصري المعروف بسعة اطلاعه على هذا النمط من المدارس الراحل عبد الرحمن الخميسي. ولما كملت جولته عاد الى العـراق بعد ان تعاقد مع الخبراء وجلب الأدوات والآلات الموسيقية. ولما استكمل كل تلك الجوانب ؛نظـم مع مساعديـه الفنانين والإداريـين أسلوب قبـول الطـلاب وتهيئـة الصفـوف الدراسيـة في المجالين الموسيقي والتعليمي التربوي .

لقـد استمـر عزيـز علـي في إدارة هـذه المدرسة النموذجية مدة عامين كاملين بكل نجاح؛ واضعا نصـب عينيـه خلالهمـا هدفـا مركزيا بعيـد المدى ألا وهـو التوسـع في هـذا الحقل المعـرفي بفتح مدارس مشابهة تنقل علوم الموسيقى إلى الأطفال النابهـين مـن ذوي القابليـات الفنيـة في اغلـب محافظات العراق .

في تلـك اللحظـات المشحونـة بالأمـل مـن حيـاة عزيز علـي ؛ صدر قرار من وزارة الثقافة والإعلام بإضافـة قسم يختص بفـن البالية يضـاف كقسم إلى هـذه المدرسـة التي كانت تختصـ بالموسيقى حسب.

وعلـى الرغـم مـن التقاريـر الفنيـة المستفيضـة والمراجعات المتعددة قام بها مديرها عزيز علي التي كانـت جميعهـا نحذر من ولوج بـاب هذه المغامرة غـير المدروسـة مـن ذوي الاختصـاص ؛ إلا أن كل ذلـك التحذير لم يجد نفعا أمام القرار الذي اتخذته الوزارة باستحداث ذلك القسم .

هنـا وجـد عزيز علـي و أمام هـذا التعنـت الذي لا مفـر مـن التنحي عـن منصبه؛ فتقدم بتلـك الرغبة مـع طلـب فـوري بإحالته علـى التقاعـد. لقد بذل يومها بعضـ أركان الوزارة كلما في وسعهم لكي يتراجع هذا الفنـان الكبير عن موقفه ؛ إلا أن عزيز علـي الذي عـرف بصلابته واحترامـه لمواقفه متى ما اقتنـع بصوابها ؛ أصر على قـراره ولم يتراجع قيـد أنملة ؛ فخسرت بذلك تلـك المدرسة النموذجية الناشئـة بخاصة والحركـة الفنية بعامة ركنا مهما من أركان نهوضها .

في منتصـف عـام ١٩٩٣ونحـن جلوسـ في بيتـه المتواضـع في الـداودي ــ قـرب سكة القطـار ؛ دار الحديـث بيننـا حـول معاناتـه الصحيـة والماديـة ؛ ولأن الراحـل عزيـز علـي كان حساسـا جـدا من موضـوع البحـث في امـوره الشخصيـة ايـا كان دافعهـا او هدفهـا ؛ فقـد حاولـت جاهـدا ان اطـرح عليـه سؤالاعامـا ليس فيه اية رائحـة للاستدراج؛ وكـدت ؛(ولكثرة مـا ردده قبل طرحه) ؛ ان احفظه عـن ظهر قلب حيث قلـت : (ابو عمـر ... انا اعرف بانـك لاتحب ابـدا ان يخوضـ احدهـم في امورك الشخصيـة الا مـا ترغب انـت بالافصـاح عنه فهل لي بسـؤال لايتعلق بك كفـرد اعتيادي بل باعتبارك شخصيـة عامة ؟ نظـر الي مليا وقال ما دام السؤال مـن الصديق خالص عزمي فهاتـه ! ؛ قلت ؛سؤالي هـو : هـل كان سجنـك واعتقالـك وفصلـك خـلال مختلف الفـترات الماضية بسبب مواقفك السياسية آنفـة الذكـر وحسـب أم لاسباب اخرى قـد نجهلها نحـن ؟ عـاد و نظر اليّ ثـم اطرق قليلا وقـال : اهم شـيء وقبـل ان اجيبك ؛ أذكـرّك بأمر هـام (هو ان جميع المشاكل والمتاعب السياسية التي كانت سببا لمـا تعرضت اليه ونلـت منه الأذى؛ ترجـع أحداثها الىما قبل ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨) . والآن اليك جوابي ! ليس كل ما نلته من سجن واعنقال وفصل كان بسبـب مواقفـي واقوالي وحسـب ؛ بل يرجع ايضـا الى ما كنت اتمتع به مـن شهرة واسعة عمت العـراق وبعض الاقطار العربية وكان من ضريبتها تلـك المعاملـة القاسيـة التـي تلقيتهـا ؛ لان شهرتي تلك لم تـأت عن طريق المداهنـة والتقرب والمديح ؛ بل جاءت وهي تستمـد قوتها ونضوجها وتأثيرها الجماهيري مـن الصدق في كشـف الحقيقة ؛ ومع ذلك ؛ فكنت كلما انقطعت عن الاذاعة فترة من الزمن ؛ سمعـت من المسؤولين عبارة استطيع ان اوجزها كالآتي (هسه بطلنا منريد منك مديح او ثناء ؛ بس خلي الناس تسمع صوتك بالراديو ؛ لان منريد قال وقيل حول سكوتك)

وكان ردي على ذلك ما انشدته :

أسكت لتحجي تبتلي خل يلعبون الشومه لي

ان شركت ون غربت خوجه علي ملا علي

كول الدنيا ربيع وكمره

● *من مدونته في موقع الحوار المتمدن*

العدد (4542)
السنة السابعة
الخميس - عشرة (7) تشرين الثاني
2019

شيء عن عزيز علي

على غير عادته ، هاتفني الاستاذ عبد الحميد الرشودي (رحمه الله) صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين ١٩٩٥ ناعيا لي الفنان القدير عزيز علي الذي كان يتدير بيتا قريبا من بيت الرشودي ، وان تشييعه سيتم قبل ظهر ذلك اليوم . اتصلت بالاستاذ حارث طه الراوي القريب من بيتي وابلغته بالامرالذي هاله وقرران يرافقني الى مكان توديعه . وذهبنا سوية الى التشييع الذي انطلق من بيته قرب السكة الحديد في حي الداوودي ، ثم حمل نعشه الى مقبرة الكرخ في ابي غريب تتبعه بضع سيارات لمشيعيه من الاصدقاء والاقرباء وعارفي فضله بلا جهة حكومية ، ووري التراب في المجموعة (٢٥) في تمام الساعة الثانية عشر من ذلك اليوم الحزين ، ثم انفرد عقد المشيعين وذهب كل لطيته ، لتنتهي صفحة من صفحات اعلامنا اللامعين التي استمرت ستة وثمانين عاما .

رفعة عبد الرزاق محمد

كنت قد جالسته في بيت الرشودي في السنوات الخمس التي سبقت رحيله الاخير ، ففي يوم من ايام سنة ١٩٩٠ عرفني الرشودي على رجل اثقلته السنوات العجاف، ضئيل الحجم ،وناحل الجسد ، محني الظهر، يرتدي (دشداشة) تعلوه ابتسامة لا تفارق حديثه ، ولم اصدق ان الذي يجلس امامي هو عزيز علي المنلوجست الشهير والناقد الاجتماعي والسياسي اللاذع الساخر ، ولكن الزمن افقده الكثير من وسامته وطوله الفارع وما كنت اشاهده بها وهو يقدم اغانيه في التلفزيون ، اغانيه التي سارت مسير الامثال ورددها الشعب العراقي في محافله المختلفة ، او ما كنت اتأمله وهو يسير في منطقة الصالحية حيث مبنى الاذاعة والتلفزيون .

لم يبق من عزيز علي عندما جالسته في دار الرشودي الا تلك الذكريات الجميلة والابتسامة الجميلة والضحكات المليئة بالدلالات ! . ذكر لي الرشودي انه كان يذهب مع الفقيد عزيز علي الى الاسواق وكان جميع اصحاب المحال يودون مزاحه وضحكته وتعليقاته .. والقليل منهم يعرف تاريخه الفني الكبير .

بقي عزيز علي عزيز النفس ، عصي الدمع ، ولكل امريء من اسمه نصيبا ، على الرغم مما نزل عليه من الحوادث والفواجع في السنوات التي اسدلت عليه السلطة ستائر النسيان والاهمال ، حتى بعد رحيل ابنه الوحيد وفلذة كبده (عمر) فقد احتسبه لله ولاذ بالصمت البليغ والصبر الجميل ، ثم وفاة زوجته ورحيل اخوانه والكثير من اصدقائه واقرانه ممن عرف فضله .

في جلسته يستمع باهتمام الى حديث جليسه ، واحيانا يرد باصرار على ما لا يتفق به مع المتحدث وان كانت الحجة دامغة والدليل واضحا . غير انه كان لا يقبل المداهنة والمراءاة ، ويذكر الاحداث لسائليه كما جرت وكما يذكرها . وكان حديثه رحمه الله واضحا يضم من الامثال والكنايات والالفاظ الطريفة والمأثورات الشعبية ماهو جدير بالتأمل والاعتبار . سمعته يتحدث مرة عن نوري السعيد وعشقه للمقام العراقي والموسيقى الشرقية وانه جاء مرة الى دار الاذاعة ليستمع الى حفلة للمقام يؤديها يوسف حوريش قاري المقام العراقي وخبيره في الاذاعة ، وكيف ان السعيد حاول غير مرة ان يمنع سفر حوريش الى فلسطين سنة ١٩٥٠ ، الا ان حوريش كان مصرا على الرحيل واستطاع اقناع السعيد باهدائه مجموعة كبيرة من التسجيلات الصوتية النادرة ، وقد قام نوري السعيد بتقديم تلك المجموعة النفيسة الى اذاعة لندن سنة ١٩٥٤ . اقول ان عزيز علي كان يتحدث عن الموضوع بطريقة بغدادية محببة لينهيها بقوله الساخر : الكو... حوريش كانت عنده مجموعة اخرى واحسن من تلك نقلها الى فلسطين واعطاها الى اذاعة اسرائيل .

×××××

تتجلى عبقرية عزيز علي في انه كان ينظم نصوص منلوجاته ويلحنها ويؤديها ، وهذا امر نادر بين المغنين ، وكانت نصوصه مستوحاة من الواقع الاجتماعي والسياسي بدون مواراة ، نظمه كان مباشرا بصور ساخرة متهكمة يخاطب به الناس بلغتهم وقيمهم واعرافهم وما هو سائد بينهم ، والحانه راعى فيها الاصول الموسيقية على الرغم من عدم تعلمه الموسيقة او كتابة النوطة ، وتنقله بين الانغام والمقامات جرى على السليقة ، فقد كان حافظا للالحان العربية القديمة والحديثة وهذا ما مكنه من تقديم الحان على مستو راق من التأثير والجمال .. والحداثة ، اما صوته فكان صوتا جميلا تألفه الاسماع بسهولة ، ويمتلك مؤهلات المطرب المؤدي بصوت كامل واسع المساحة ويمتلك الجواب وجواب الجواب كما يذكر المعنيون بالموسيقى .

×××××

سمعت كثيرا حول اصوله (القومية) ، ولاسيما انه ولد في محلة بغدادية تضم العديد من الاجناس (محلة الشيخ بشار في الكرخ) وان اسرته نزحت من كربلاء واستقرت ببغداد ، غير ان اسمه الكامل يجعلني اتردد بقبول ما سمعته بسهولة ، فهو عزيز بن علي بن عبد العزيز بن علي بن حاتم بن هانيء ، وعلمت منه ان والده كان من الصياغ الماهرين والمشهورين ، وهو الذي صنع القفص الفضي لمرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد ، وان وفاته كانت سنة ١٩٣٠ .

×××××

سجن عزيز علي سنة ١٩٧٢ بتهمة الانتماء للماسونية ، وكان ذلك من النقاط المثيرة والخطيرة في حياته ، وكان قد تحدث لصديقه الاستاذ عبد الحميد الرشودي عن الموضوع ، ونقل لي الرشودي ذلك الحديث وملخصه كما يلي : يقول عزيز علي انه بعد فصله من الوظيفة في الاربعينيات ، فتح محلا لبيع الاحذية في مدينة كربلاء ، وفي احد الايام زاره في المحل صديق له وسماه (.....) ، فراى الضائقة التي يمر بها ، واشار عليه بزيارة شخصية سياسية وعسكرية كبيرة هو المرحوم (توفيق. و) ليساعده في اعادته الى الوظيفة . ولما ذهب الى تلك الشخصية وعرض عليه حالته ، رد عليه هذا بانه موهوب وشخصية معروفة وعليه سيتفق مع جماعة او (منظمة) انسانية يمكن مساعدته عن طريقها بعد الانتماء اليها . يقول عزيز علي انه عرف فيما بعد ان تلك الجماعة من الماسونيين ، غير انه ـ كما اقسم ـ لم يحضر اجتماعا او محفلا او عرف شيئا من نشاطهم (الذي يقال انه سرياً) ، غير أن وثائق هؤلاء وسجل الانتماء كانت محفوظة لدى شخصية بريطانية معروفة وهو المستر ستود احد مؤسسي شركة السباق ويسمونه العوام بمستر (اسود) ، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ترك هذا الانكليزي العراق واحتفظ باوراقه في صندوق في مصرف الرافدين ، وبعد عشر سنوات فتح هذا الصندوق وفق تقليد ان للبنك الحق في فتح الصندوق اذا لم يراجعه احد طيلة تلك الفترة ، ولما فتح عرفت الحقيقة وكشفت الاوراق ونقلت الى دوائر الامن يومذاك، وعرف ان عزيزا كان من تلك الجماعة المحظورة فقدم للمحكمة وحكم عليه بالسجن المؤبد بعد تخفيف الحكم لانه كان من مؤيدي حركة مايس ١٩٤١ واعتقل لسنوات بسبب ذلك .. وفي سنة ١٩٧٩ اعفي من بقية مدة الحكم بسبب مرضه مع مجموعة من المتهمين بالتهمة نفسها . اما رأيه ببعض الشخصيات العراقية والاحداث التي عرفها او ساهم فيها فحديث آخر لا تسعه هذه العجالة .

عزيز علي

ليس رثاءً بل.. استذكاراً!

يوسف العاني
فنان راحل

ذات مرة..في السبعينات..جاءت قارئة مقام من واحدة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً.. لتقدم قراءات في المعهد الثقافي السوفياتي.

جئت متأخراً فوجدت في المدخل عزيز علي جالساً في زاوية واضعا يده على خده يحرك رأسه طرباً ويده تعبر عن اعجابه عازلاً نفسه حتى عن جمهرة الحاضرين ..

وقفت غير بعيد عنه .. سألته :

–أبو عمر شبيك.

همس بصوت خافت وهو مختنق ..

–إسمع داد يوسف .. إسمع شلون دتقره ، والمصيبة يكَولون المرة ما تقدر تقره مقام ، زين .. هاي رجال لو مرة .. العبرة مو بالمره لو الرجال .. العبرة بالفنان وقدراته واستيعابه..

ثم سكت قليلاً وقال :

–العن أبو

قلت أنا :

–ألعن أبو الفن لأبو أبو الفن

قال : لا إلعن أبو أجدادي ..

قلت له – ليش تشتم نفسك

قال – أشتم نفسي أحسن مما أشتمهم وأبتلي .. نفسي أرد اشتمها .. المهم شتمت ..

ثم تحسر وقال : يجي يوم هذولة هم يترحمون علي بعد ما أصير لا نفس ولا نفس ساموط لا موط جوة الكَاع.

لكن احتفالنا هذا ليس ترحّماً بل تكريماً واعتزازاً وإن كان متأخراً.

وليس رثاءً لفنان كبير مات ! فقد بدأ الكبار يتساقطون واحداً إثر واحد وبدأت اشعر ان "البستان" سيصبح أرضاً جرداء بعدهم ..!

فلا نعود نقول "احنا عدنا بستان / جنة من هالجنان بيها ما تشتهي الانفس / والفواكه الوان
والارض مفروشة سندس / كلها ورد وريحان"
كما كان يقول الفنان الكبير الذي مات قبل أيام .. عزيز علي .. أو اننا نستطيع أن نستشير "الدكتور" فنقول له :
"دكتور .. دخل الله ودخلك ما تداوينا"

لم تعد هذه الاقوال ناجحة لكي يبقى الكبار في بستان الحياة الذي عشنا فيه زمناً والفن والابداع فيها يتألق من حسن الى أحسن والمباراة والمباهاة تهزان الخطأ وتحتضنان الصح لرعايته وتعميقه ..

عزيز علي .. رجل تجاوز الثمانين .. وموته سنه من سنن الحياة .. لكن الذي يحز في النفس .. أن يموت ولا ندري بموته إلا بعد ايام ، وان جيلاً بكامله لا يعرف من هو عزيز علي ، لكنه يعرف أحمد عدوية ويعرف أسماء كثيرة جوفاء إلا من نزق كلامي ، ولحن مائع ، وحركات عابثة تعيش بينهم .. لا أضع اللوم على هذا الجيل وحده ، ولكننا نتحمل اللوم .. جميعنا ، لاننا لم نكن نحرص على هؤلاء الكبار ولا على مكانتهم وفنهم حتى صاروا نسياً منسياً !

آخر مرة التقيت عزيز علي .. في طريقه الى احتفالية الرواد حيث كرم رائداً لفن المنلوج بحق وجدارة واستحقاق.

كان يجلس في السيارة .. اقتربت منه وسلمت عليه .. فرح وصرخ "لك ها داد يوسف" قبلته .. قلت له "يلله" وأشرت الى "الباص" الذي ينقلنا الى مكان الاحتفال .. نظر في وجهي ولم يقل شيئاً .. فقد جاء شاب كان معه وحمله الى "الباص" فقد كان عزيز علي مقعداً.

في قاعة الاحتفالات كنت أنظر اليه من بعيد .. وهو ينقل من ويحمل من مكان الى مكان ..وقرأت الاحتفال في وجهه ووجوه الاخرين الجالسين ..

عزيز علي .. هذا الاسم الذي كان يهزنا .. ونحن طلبة في الابتدائية ثم في متوسطة الكرخ قبل الاربعينات وبعدها ، فيوم موعد قراءة "منلوجات" عزيز علي والتي بدأها منذ نشأت الاذاعة عام ١٩٣٦ ..كان يوماً مشهوداً .. ففي تلك الامسية .. تجتمع في بيتنا النسوة والصغار ..

وفي قهوة "احمد الجداع" بخضر الياس يجتمع الرجال ويقترب الاولاد من المقهى وكلهم انصات لعزيز علي وصوته يجلجل "نص الليل فزيت من نومي / شلكَي ؟ الكَيلك هوسة بمهجومي"

وتتعالى الضحكات .. وتتردد الاحاديث من تعليقات .. ونقاشات فعزيز علي كان اللسان الناقد من دون خشونه او جرح او اسفاف وكلماته منتقاة .. وتأثير غنائه عميق في القلب والعقل .. فقد كانت البدايات .. وكما يسميها "المقالات الملحنة" لأن تعبير المنلوج .. لم يكن يقره هو.. فقد كان يأخذ عند البعض لوناً من التهريج غير المستحب ..

ويستمر الصوت الداوي في الاذاعة ويعلن عن موعد آخر .. عصراً .. فتشيع حركة اخرى بين الناس ، الحمالون في الخان ، والمثقفون في المدرسة وكبار السن والصغار كل على موعد .. واتذكر اننا كنا نحجز محلاً لبيع المرطبات في الشواكة نجلس فيه مبكرين .. ونطلب اكثر من قدح من "الدوندرمة" انتظاراً لعزيز علي وهو يعاتب الذين يقصرون بحق بغداد :

"كَالت اسمع يا بني واسمع تمام
اني بغداد وانا دار السلام
والله عجزتوني بالحب والغرام
ما شفت منكم ابد غير الكلام !"

نهرع راكضين إلى الاذاعة لكي نرى عزيز علي خارجاً من هناك لنصفق له ونقرا له بصوت عالي مقطعاً ادخله في المنلوج نفسه "بغداد يا بلد الرشيد / ومنارة المجد التليد" للشاعر علي الجازم من قصيدته التي القاها عام ١٩٣٧ ..!

وتسير الحياة ويواكبها عزيز علي .. وتتعالى كلماته نقداً سياسياً يهز النفوس والعقول كعادته كل اربعاء فنسمع عام ١٩٤٨ .. "منه .. منه .. منه .. كلها منه مصايبنا وطلايبنا كلها منه!"

ويرمز للمستعمرين وعملائهم .. ويردد منادياً العرب .. مستصرخاً ضمائرهم وفلسطين العربية تستباح ..

وتظل مقالات عزيز علي الشعرية الملحنة علامة من علامات الآتي وجزءاً من ضياع انساننا العربي فيقول او يغني عام ١٩٤٩

"تهنا بها لبيدة وضيعنه
ويتيه اللي ماله دليل
بس نتلافت يسره ويمنه
ولا ندري ليادرب نميل
وين الحيد اللي يرشدنه .."

وفي العام نفسه يقرأ لنا "السفينه" ثم "البستان" و"صلي عالنبي مالح وطيب لبلبي" عام ١٩٥٤ و "اسكت لا تحجي تبتلي" عام ١٩٥٦ و "كل حال يزول" ١٩٥٨ ثم "!...نو" وهكذا رسم هذا الفنان لفن "المقالة الملحنة" او المقالة الشعرية الملحنة .."المنلوج" مكانة لم يرق اليها – في تقديري – اي فنان اخر .. فقد كان عزيز علي يختلف عن مقدمي المونولوج برصانته وعدم اعتماده على الحركة غير المتزنة كما كان الشائع عند الاخرين .. في مصر مثلاً اسماعيل ياسين او شكوكو .. بل حول صيغة الأداء الى نوع من المهابة التي تخاطب العقل .. وحين توقف راح يعمل في مدرسة الاطفال الموسيقية .. حتى احال نفسه على التقاعد ولم يتخذ النظم والتلحين والانشاد وسيلة للتعيش والارتزاق ولم يظهر في حفلة خاصة بأجر أو من دون أجر ..!

فليس غريباً حين يكتشف فوضى الفن وسطحيته وإسفافه أن يقول :

"انعل ابو الفن لا بو ابو الفن
موراح انجن ماكدر أكَولن
بغلتي ببريجي والمن اكَولن السكوت آمن
وينيال كل من اطرش وادكَن".

● من كتاب شخصيات وذكريات

العدد (4542)
السنة السابعة
الخميس - عشرة (7) تشرين الثاني
2019

اثناء تواجدي في محافظة كربلاء في عام ١٩٤٨ زرت احد محلات بيع الاحذية وإذا بي امام عزيز علي, الذي ظهر انه صاحب المحل, فلم اصدق ان هذا الذي يقف امامي هو نفسه الذي كان ينقلني الى عالم الالحان الساحرة, برغم انه لا يعترف بانه يهتم بالتلحين ولا ادري ان كان ذلك من باب التواضع. وقد التقطنا صورة للذكرى لكني لم اشاهدها لانها كانت فاشلة. وتشاء المصادفة ان التقيه ثانية وفي نفس العام في اذاعة بغداد وتعارفنا مجدداً ومنذ ذلك الوقت لم نفترق الا لماماً. شاهدته يضع اجمل واروع اقواله منذ عام ١٩٤٨ وحتى اخر مونولوج وضعه في عام ١٩٥٨ ويقول فيه (كل حال يزول). ولفرط اعجابي به كنت اقف مع كورس الاذاعة كي اردد معهم بعض اقواله الشهيرة ومنها برنادوت وصل عالنبي وبستان.

ذكريات مع عزيز علي

عبد الوهاب الشيخلي

ناقد فني راحل

المعجبون يتجمهرون خارج الإذاعة

كان عزيز علي يتاخر في الخروج من الاذاعة تحاشياً الحشد الهائل من الناس الذين يتجمهرون خارج الاذاعة وينتظرون مشاهدته ورغم تاخره فان عدداً منهم لا يياس من الانتظار وعند خروجه يندفعون نحوه لمصافحته وتقبيله، لكنه يتخلص من الموقف بالاندفاع نحو السيارة التي تنتظره حيث يذهب الى بيته وعائلته. وكان يقول لي دائما انني لا املك سوى بيتي واولادي، ورغم ذلك فقد طفله البكر (عمر في الحرب العراقية الايرانية) ولم تدمع عيناه لانه كان يعتصر الالم والحزن في قلبه. وبينما كان صوت البكاء يصدر عن النسوة في البيت امسك بيدي وقال فلنذهب الى السينما وعرفت انه متاثر جداً لوفاة ابنه لكنه اراد ان يبتعد قليلاً عن اجواء النواح والبكاء.

تأسيس مدرسة موسيقى الأطفال

كنت ذات يوم اقوم بمهمة تدريس النشيد والموسيقى في احدى مدارس القطر واذا بي اشاهد الفنان عزيز علي ومعه استاذ اجنبي، وبعد ان انتهى من اختيار بعض الطلبة طلب مني مراجعته في دائرة السينما والمسرح، وهناك عرفت انه ينوي تأسيس اول مدرسة لتعليم الموسيقى للاطفال على اسس علمية متينة. وقد زار لهذه الغرض الاتحاد السوفيتي وتمت الاستعانة ببعض اساتذته ثم اختارني معاوناً له في المدرسة وبدأنا العمل وحضر الاساتذة الروس. اما الاساتذة من العراقيين فقد اجريت لهم اختبارات للتعرف على قدراتهم في تعليم الاطفال الالات الموسيقية وقد فشل بعضهم برغم انهم كانوا يعملون في الفرقة السمفونية! واخذنا نعمل ليلاً ونهاراً من اجل الوصول الى النتائج المرجوة خلال مدة زمنية قياسية. وقد تعرفت على عزيز علي بصورة افضل بحكم العمل معه عن قرب فوجدته عصبي المزاج وقد اتعب نفسه واتعبنا معه لكننا برغم كل شيء استطعنا ان نصل الى نتائج ملموسة. وقدمنا حفلات غنائية وموسيقية ادهشت كل من حضرها وسجلنا للتليفزيون عدداً لا يستهان به من المقطوعات الموسيقية العربية والاوربية. لا شك ان تجربة الفنان عزيز علي في هذا الميدان هي الاولى من نوعها لانها استندت على أسس علمية صادقة وكان اختيار الطلبة يتم وفق شروط مشددة (وهنا اتحدث عن مدرسة الموسيقى قبل دمجها مع مدرسة البالية) وبعد ان ترك عزيز علي العمل بسبب تقاعده واصلنا المسيرة في هذه المدرسة الى عام ١٩٧٤ وسلمنا الرسالة للاخرين بعد ست سنوات من العطاء والجهد من اجل موسيقى رفيعة وفن يحمل في ثناياه روح المستقبل.

محطات في الذاكرة

قدم عزيز علي ذات مساء حفلة في نادي الكمرك وكان (صباح نوري السعيد) احد الحاضرين فاستفزته اقوال عزيز علي فتوجه اليه وطلب منه ان يكتب مونولوجاً عن المهربين لانه – اي صباح – اكبر مهرب في العراق فاعتذر عزيز وتخلص منه بلباقة خاصة، بعد ان لحظ على صباح انه قد شرب كثيراً من الخمرة في تلك الليلة، وعندما ذكرت هذه الحادثة امام عزيز علي قبل اشهر انكرها ولم يعد يتذكرها، برغم انها حدثت امام عدد من الحاضرين الذين وقفوا في وجه صباح في تلك الليلة.

× كنت اتمشى ذات مساء في شارع ابي نؤاس واذا بالناس تتراكض وتسرع نحو المقاهي المنتشرة على جانبي الشارع وسمعت بعضهم يتلفظ باسم عزيز علي فسألت احدهم اين هو عزيز فأجابني سوف تبدأ حفلته بعد قليل في الاذاعة وكان مشهداً غريباً ولم يتكرر مع اي فنان عراقي باستثناء عزيز علي.

× في ٢٩ حزيران من عام ١٩٥٧ اجريت مع الفنان عزيز علي حواراً فنياً نشر على صفحتين في مجلة الاسبوع وكان مبتعداً او مبعداً عن الاذاعة، وقد تحدث باسهاب وبصراحة عن اسباب ابتعاده مؤكداً ان الاذاعة في ذلك الحين تميل الى ان تقدم الاغاني الهابطة وجاء بأمثلة من اغنيات زهور حسين مثل (صلوات الحلو فات وخالة شكو شنهو الخبر دحجيلي). وقال يخطئ من يظن ان الاذاعة ليست سوى دار تثقيف وتهذيب حسب ويخطئ من يظن انها مجرد دار لهو وتسلية. لانها في الحقيقة مدرسة قائمة بذاتها لبث افكار اراء خاصة باسلوب خاص وهي سلاح ذو حدين اذا ما احسنت الجهة المختصة استخدامه لتقويض افكار معينة او اقامة فكرة او رأي معين.. الاذاعة جهاز فعال يعود بالنفع الجزيل على الوطن والامة.

● *عن كتاب: (عزيز علي.. رائد فن المونولوج في العراق)*

العدد (4542)
السنة السابعة
عشرة - الخميس
(7) تشرين الثاني
2019

عزيز علي .. فنان المونولوج الهادف

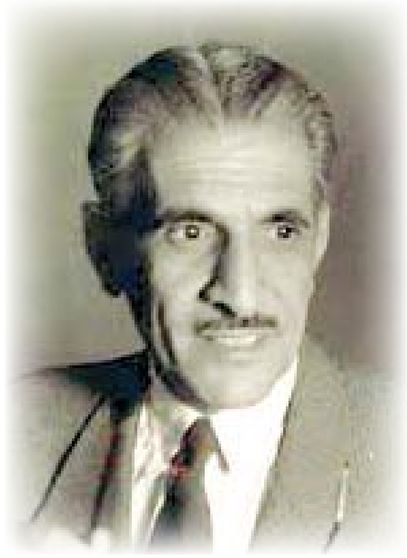

د. مصدق الجنابي

الفن الهادف يحمل رسالة المجتمع بأمانة ويعيش حالته الحضارية، ويعكس ممارساته الإنسانية، ويبرز الصفحات المضيئة فيه.. وهذا ما تجسد تماما في المقالات الغنائية لعزيز علي، والتي مارسها تأليفا وتلحينا وإنشادا من إذاعة بغداد منذ تأسيسها عام (١٩٣٦) حتى أواخر عام (١٩٥٨)، أي إننا يمكننا أن نستشرف الحركة الفنية لحقبة تاريخية مهمة جدا من تاريخ العراق الحديث.

الفن الهادف يحمل رسالة المجتمع بأمانة ويعيش حالته الحضارية، ويعكس ممارساته الإنسانية، ويبرز الصفحات المضيئة فيه.. وهذا ما تجسد تماما في المقالات الغنائية لعزيز علي، والتي مارسها تأليفا وتلحينا وإنشادا من إذاعة بغداد منذ تأسيسها عام (١٩٣٧) حتى أواخر عام (١٩٥٨)، أي إننا يمكننا أن نستشرف الحركة الفنية لحقبة تاريخية مهمة جدا من تاريخ العراق الحديث.. وهي بدايات تأسيس الدولة العراقية مرورا بمرحلة النمو السياسي والفكري إلى مرحلة الإنتقال إلى النظام الجمهوري. وقبل التوغل في الموضوع.. أود توضيح معنى كلمة "مونولوج" .. فهو مصطلح يوناني- لاتيني مركب من كلمتين (مونو) وتعني (واحد- فرد) و (لوج) وتعني (كلام- مقال) وتركيبها يعني الكلام الفردي أو المقال الفردي.. ويجوز أن يكون نثرا أو شعرا ويصلح أن يلقى أو يلحّن تلحينا. ولم يكن هذا اللون معروفا أو مألوفا في أوساطنا الشعبية على الإطلاق، وليس هناك أي شبه بينه وبين المربع أو أي لون آخر.. لا من حيث المضمون ولا من حيث الأداء.لقد اتخذ عزيز علي مسارا يختلف تماما عن كل الإتجاهات الفنية السائدة، وذلك لسبب بسيط ولكنه جوهري.. وهو إن الظروف الجديدة للإنسان العربي في العراق والحاجة الحضارية الاجتماعية للون من الغناء ينتقد الواقع ويشحذ الهمم ويحفز قوى الثورة والتغيير لدى الجماهير. أن عدم قدرة أي من الألوان الغنائية السائدة آنذاك من إستيعاب حاجات الجماهير وطموحاتهم على إختلاف أذواقهم وإنتماءاتهم ومستوياتهم الفكرية، هو ما جعل عزيز علي يبتعد عن اداء المقام ويتجه إلى هذا اللون الغنائي الذي أحبه كل أبناء العراق وتوحد ذوقهم فيه، والذي أصبح بحق مدرسة فنية عراقية رائدة نبغ فيها عزيز علي وأبدع، خصوصا وأن هناك بونا شاسعا بين عزيز علي وقرّاء المقام آنذاك. إذ كما يقول المحقق الشيخ جلال الحنفي في كتابه "المغنون البغداديون والمقام العراقي" بأن الاميّة تغلب على قراء المقام العراقي بينما نجد عزيز علي فنانا ناقدا في مرحلته الفنية الأولى من ١٩٣٧-١٩٣٩ وناقدا سياسيا بعد هذه المرحلة، بل أصبح من أكثر الداعين إلى الثورة.. ونتاجه في هذه المراحل كلها يدل على نضج فكري ووعي سياسي وإلتزام مبدئي. وهذا يتضح في موقفه المعلق ومساندته ومشاركته الفعلية في ثورة مايس ١٩٤١ وإعتقاله وسجنه بسببها، ثم في مناهضته لكل أنواع التنكيل والإضطهاد والإرهاب ومصادرة الحريات الفكرية وضياع المقاييس وتعريته للمواقف التي تعارض مصالح الشعب وآمال الأمة. لقد تناولت مقالات عزيز علي الغنائية الكثير من الأمور الجوهرية في حياة المواطنين حتى بات يمثل صوت الجماهير وضميرها، وأصبح كل من يستمع أليه يقول "هذا ما كنت أود قوله" وإلى يومنا هذا. لقد تحدث عزيز علي بلغة الشعب، بمنطق الجماهير وبأفكارها.. عاش معاناتها وآلامها وطموحاتها.. عرّى القوى الإستعمارية الطامعة وأساليبها في بث التفرقة والفساد، ومقاله "منّه منّه" تحليل رائع للدور المقيت الذي لعبه "صاحبنا" والتدخل السافر لـ "مختار ذاك الصوب" في الشؤون الداخلية للبلاد. وانتقد مجلس الأمن -وما أشبه اليوم بالبارحة- ومواقفه السيئة المشينة تجاه قضايانا المصيرية، وعتب على "جامعتنا الما لمتنه"؟. وأنتقد اسلوب الجامعة العربية الهزيل في معالجة قضايا الأمة العربية ونادى بحقوق الإنسان وحرية الفكر وحرية الرأي وحرية اللسان والعيش بإطمئنان، ورفض التمييز العنصري بمقاله "مسعود ومسعودة". لقد خاطب عزيز علي كل فئات الشعب وعلى مختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية والاجتماعية، خاطبهم باللغة التي يفهمونها وبالمفردات التي يتداولونها.. فغنى "بستان" يخاطب الفلاح وكأنه أبن الريف وفي "السفينة" يخاطب الملاحين وكأنه النوخذة، وفي "دكتور" يخاطب الطبيب وكأنه الصيدلاني، وهكذا في معظم مقالاته الغنائية، ولم ينس عزيز علي مقالاته بالأمثلة الشعبية التي تمثل خلاصة التجربة الإنسانية للمجتمع. كان إيمانه بالثورة حتميا ويقينا مطلقا، ولذا جاء مقاله "هذي السنة سنة" في بداية عام ١٩٥٨ "وكل حال يزول" في آذار ١٩٥٨. وقد كرر هذين المقالين في أواخر عام ١٩٦٧ عندما طلب منه "مدح" حلف بغداد.. فرفض وكلفه ذلك وظيفته. هذا هو عزيز علي .. الفنان الكبير، روحا وفكرا وفنا، عاش بسيطا ومات فردا مسجونا من أبناء الشعب.. أحب العراق وأخلص له وضحى من أجله، لم يمالئ ولم ينافق ولم يرتزق من فنه برغم معاناته من شظف العيش، مات وكانت أمنيته الوحيدة.. أن يُرَد له أعتباره الوطني، بإعادة الجنسية العراقية التي سحبها نظام صدام منه.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني: حيدر الكواز

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

عزيز علي بقلم
(رئيس وزراء)

عندما اصدرالفنان الكبير عزيز علي كتابه (منولوجات عزيز علي) قدم منه نسـخة الى رئيس الوزراء السابق عبد الرحمن البزاز ، فاجابه مقرضا :

من الاقوال الشـائعة المأثورة عن احد فلاسـفة الاغريق قوله: (مكني من تغيير موسيقى قوم اضمن لك تغيير اخلاقهم) ولا شـك ان نصيب هذا القول من الحق عظيم ، فالموسيقى، والغناء، والنشيد، وعلى العموم لكل ما يتصل بهذه الفنون الرفيعة المتعلقة بالنغم والايقاع، اعظم الاثر، في تغذية العواطف، وقل الطباع، واثارة المشاعر وتنمية الملكات، وترويض النزعات، وتهذيب النفوس وهذه بمجموعها عوامل فعالة في سلوك الافراد والجماعات.

ان اهميـة هـذه الفنون آخـذه في الازدياد في العـالم الحديث بسبب انتشار الوسائل الإعلانية والتسلية كمحطات الراديو والتليفزيون، ودور السينما، والمسجلات وغيرها وتسيرها للكافة. وفي هذا نعمة كبيرة لا يمكن نكرانها. على ان هذه النعمة قد تصاحبها، في الواقع، نعمة كبرى تعم المجتمع كله، وذلك حين اهمال هذه الفنون وتركها على حالتها البدائية، او حالتها التي هي دون الحالة البدائية، من تسيب واضطـراب.. ويتسـم الغنـاء في العراق بميزات اهمها:

اولا- شيـوع الانغـام المريضـة التي تثير الغرائـز، وتشيع بين الاحداث مـن الجنسين خاصة معـاني مبتذلة لا تنمي عاطفة كريمـة، ولا تثـير احاسيس رفيعة، وتدعو الى الخنوع، وتحبيـذ التخنـث، وتحيل عواطـف الحـب السامية الى مشاعـر جنسيـة واطئـة، واخطـر مـن هـذا كلـه انهـا تشيـع روح العبوديـة والاستسلام. فالمحب لا يظهـر اخلاصـه لحبـه الا اذا صـار عبدا بـين يديه، او تمرغ بـين قدميه، او تمنـى تمنيات تافهـة لا تصـدر عـن نفـس كبـيرة، وروح شاعـرة. ويتسم الغنـاء العراقـي ثانيـا، بشيوع الحـان كئيبـة تحيل الغنـاء الى مجالـس عـزاء، او مـا يشبـه المـأتم وهـي تدعـو الى الضجـر والاسترسـال في الياس، بل انها لتستذرف الدموع احيانا والطابع الثالـث للغنـاء العراقـي، فقدانـه للاصالة، فهـو في الغالب تقليد في معانيـه واساليبـه وانغامـه. واذا استثنينا المقام العراقي -وهو تراث قـديم انتقل الينـا من اجيـال عديدة وسائر الى الضعف والغناء - لا نجد في الغناء العراقي اليوم اثرا من آثار التجديد، اللهم الا بعض الاناشيد التي صارت تعدها دار الاذاعة (المجموعة). ويقـف بعيدا عن هـذا التيـار المحموم في العراق نفر قليـل، يقف في الطليعة بينهم الاستاذ عزيز علي فيما ارى. اذ تمتاز مونولوجاته بالاصالة، وحسن الاداء، وعمق التفكير، وسمو الهدف. ففيها روح نافذة، وفيها استثارة مخلصة، وفيها فكرة اصلاحيـة تجدديـة. وعيبها انها قـد نظمت بالعاميـة، ولكنها عامية محببـة يوشك عمـق معانيهـا، وجمال ادائهـا، ان يرفعهـا الى مقام الفصحـى، وقديما قيـل (ليس على المطرب ان يعـرب). ولقد حاولت مـع فريق من اخواننـا حينما كنا نعمل في اللجنـة الاستشارية لدار الاذاعـة، ان نضع حدا لهـذه الفوضى الغنائية، وان نجد في مكافحة هذا الداء الخبيث الذي يفتك بالارواح فتكا ذريعا، ولكن دونمـا طائل. فقـد فشلت خطـة الاصلاح التي كنـا نعتزم تنفيذها، اذ هنـاك عوامل عديدة - ليس هـذا موضوع سردها- تعمل على الابقاء علـى هذا الطابـع المشين. وكان بعضـ ما وفقنا اليه هو تمكين الفنـان الملهم السيد عزيز علي من العـودة الى دار الاذاعة ليستمتع العراقيون وغير العراقيين بانغامه العذبه، ومعاني ازجاله العميقة، بعـد ان حرموا منها لوقت طويـل. ولكن سرعان ما حالـت اوضاع (معينـة) دون الانتفاع منـه، ثم اعيد بعـد ذلك لفـترات قصـيرة، وسمع مـرات معدودات، ولكـن سرعـان مـا اختفـى صوته العـذب من جديـد. ولعـل السبب الاساسي في هذا هو ان السيد عزيز علي كالبلبل الصداح لا يقدر ان يغرد في غـير الاماكن الفسيحة، والحدائـق الغناء، على حين يريده البعضـ ان يغني في اقفاص وهو يمقت هذه الاقفاص وان كانت من ذهب. ان الذي يستمع اليه، وهو يرتل (مونولوجاته) يستشعر عظم استغرابـه بفنه، ويـدرك هذا المعنى بصورة اجلـى من يبصره يلقى قطعـة فنية، اذ تنـم كل جارحة من جوارحه عن المعـاني الكبار التي يفصـح عنها حينـا، ويتمتم فيها احيانا حينما يـرى ان الاشارة ابلغ مـن العبارة. ان في كثير من هذه المونولوجات فنا رفيعا، وتصويرا رائعا، وهي تصور المرحلة التي مرت على العراق في خلال ربع قرن، او يزيد، احسن تصوير، ففيها نقد اجتماعي انشائي، وفيها تصوير لطبائـع الناس دقيق، وفيهـا دعوة للاصلاح شاملـة، وفيها استثارة قويـة مخلصة، وفيهـا دفاع بليغ عن الاحرار، وفيهـا دعوة للعروبة، وفيها تصوير مصائب الامة العربية جمعاء (اقرأ مونولوج السفينة، بستـان، تهنا، صل عالنبي، اسكت، وفلسطين). ولقد وجدت في هذه القصائـد صورا جميلة، ومعاني رائعـة، ودعوة مخلصة، واني على يقـين ان جمهرة كبيرة من العراقيين يشاركوني هذا الرأي. ان عزيز علي شخص موهوب حري بالاعجاب والتقدير.

● من كتاب منلوجات عزيز علي

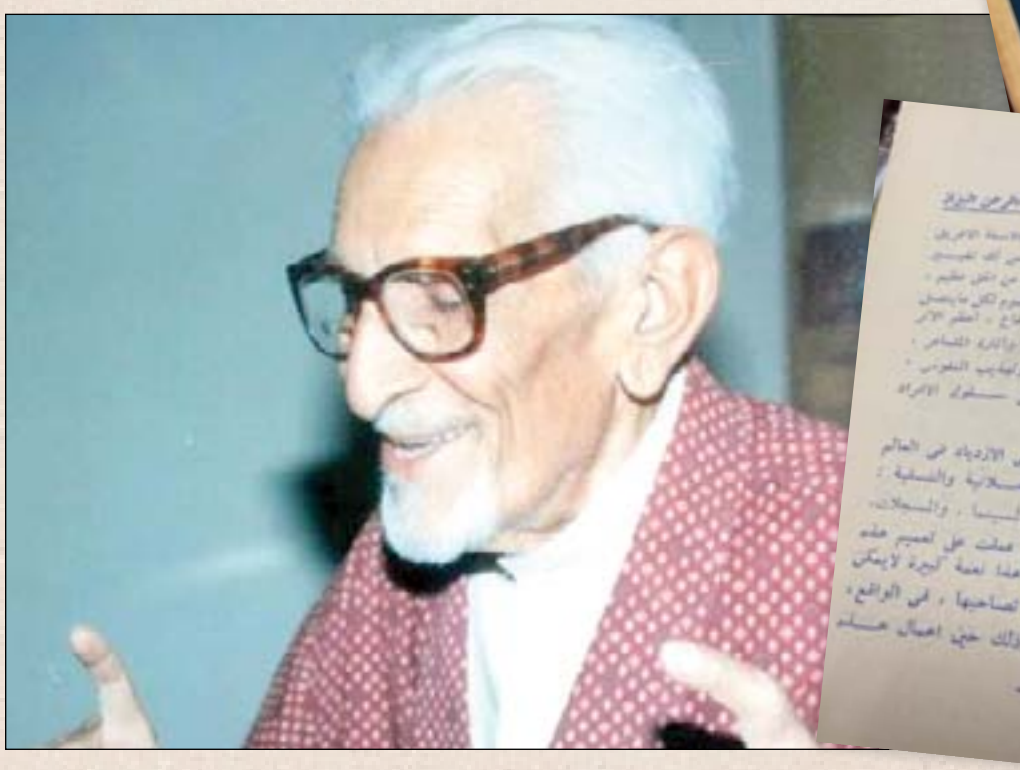

تقريظ